

الباب الثاني

الفصل الأول

ترجمة ابن طفيل

نشائمه

إن ابن طفيل وهو محمد أبو بكر بن عبد الملك بن محمد ابن طفيل القيسي هو عربي العنصر إذ ينتمي إلى قبيلة قيس، ولقد أطلق عليه نسب القيسي والأندلسى والقرطبي. ولد في وادي آش في سنة ٥٥٠ الموقعة في عام ١١١٠ م - وهي بلدة في وادي خصيب تبعد قليلاً عن غرناطة نحو ستين كلو متراً - في أول قرن السادس الهجري وقال عبد المقصود أنه ولد سنة ٤٥٠٤ م ^{١٢} وتوفي في مراكش عاصمة الدولة في عام ١١٨٥ م ^{١٣} وما يذكر التاريخ عن طفولته وشبابه، لكن المركز الاجتماعي الذي كانت تتشكله أسرته وكيف قضى طفولته، كل ذلك يهمله التاريخ. يعني أن التاريخ لم يعرف شيئاً إلا قليلاً عن طفولته ومبدأ شبابه ولا كيف تثقف. ويذهب البعض إلى أنه تلميذاً لابن رشد ولكنه هو نفسه لم يذكر ذلك. وذهب البعض إلى أنه تلميذاً لابن باجه لكن ابن طفيل ينفي ذلك في

^{١١} عبد لله المصود عبد الغن، التوفيق بين الفلسفة عند فلاسفة الإسلام الأندلسي، (القاهرة: مكتبة الزهراء، ١٩٩٩) ص. ٢١.

^{١٢} محمد عبد الهادي أبو ريدة، تاريخ فلسفه الإسلام، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، بمஹول السنة) ص. ٢٤٩.

رسالته حي بن يقطان – حيث يذكر أنه سمع بآرائه وأطلع عليها لكنه لم يتلق به. ولكن التاريخ إذ كان يجهل الكثير عن تلك الفترة من حياة ابن طفيل هي دورة النشأة والتكوين إلا أنه يمدونا بمعلومات كثيرة عن المناصب العالمية التي تقلدتها ابن طفيل وعن مرتبته الفلسفية العالمية وكذلك الطيبة وثقافته الواسعة.

وكمما عرف البحث أن ابن طفيل طبيب متهرق في غرناطة، ولقد كان طبيباً خاصاً لحاكم هذه المدينة وعين أيضاً كاتباً خاصاً لحاكم المدينتين، سبته وطنجة. وكان هذا الحاكم هو ابن الأمير عبد المؤمن. ولقد علا ابن طفيل واتصل يقصر أبي يعقوب ويوسوف ثان ملوك أسرة المخدين ثم قلد منصب الطبيب الأول وأصبح صديقاً لأبي يعقوب ومقرباً يعقوب لأسباب عدة منها:

كان كلامه ينتمي إلى قبيله وصيلة الدام إلى العرب معروفة، وكان كل منهما أدبياً يقول المراكشي عن أبي يعقوب رقيف حواشي اللسان حل الألفاظ حسن الحديث وإلى ما جرى. وكان ابن طفيل أعرف الناس كيف تكلم العرب وأحفظهم بأيامهم وما تأثرها وجميع أخبارها الجاهلية والإسلام. وأما ابن طفيل فقد قال أحمد أمين بحق "نحن لو قارنا بين ابن سينا وابن طفيل من ناحية الأدبية وجدنا أن ابن طفيل أرقى من ابن سينا بكثير من حيث اللغة والأدب، فعبارة ابن طفيل أدبية وعبارة ابن سينا محلقة غامضة ويظهر أن ابن طفيل كان مثقفاً ثقافة أدبية أرقى من ثقافة ابن سينا". ففي

كثير من ألفاظه ما يدل على أن ابن سينا كان يستسقى معلومته اللغوية من المعاجم، لا من كتب الأدب فجاء بعض الأحيان نابية، أما ابن طفيل فيستسقى معلومته اللغوية والأدبية من كتب الأدب والمتلقين بها. فبذلك جاءت عباراته أفصح وأبلغ.

وفهم ابن طفيل وابو يعقوب فيما يتعلق بالمعرفة العلمية العامة
ومتغمسا في الفلسفة. أما ابن طفيل فهو فيلسوف بطبعه وكان محققا
بجميع أجزاء الفلسفة، وأما أبو يعقوب فقد طمح به نفسه وعلى همته إلى
تعليم الفلسفة، فجمع كثيرا من أجزائها وبدأ ذلك إلى ما هو أشرف من
أنواع الفلسفة وأمر بجمع كتبها. فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحاكم
المستنصر بالله الأموي، ولم يزل بجمع الكتب من اقطار الأندلوس والمغرب
ويبحث عن العلماء وخاصة أهل علم النظر إلى أن اجتمع له ما لم يجتمع
لملك قبله من ملوك المغرب ولقد كان ابن طفيل في ما يليه ويحتل مكانه
كبيرة لدى هذا السلطان (سنة ٥٨٠)^{١٣} حيث كان فلسفيا على صلة
طيبة لإبن طفيل لدى السلطة الحاكمة في أن تلتف الأنظار إلى أهمية العلم
والعلماء، ومن ثم رفع شأنهم، ونعلم أن من حملة ذلك ما هو معروف من
أن ابن طفيل هو الذي قدم ابن رشد إلى الأمير ابن يعقوب يوسف.

يشمل النشاطات العلمية الطبية الأدب الرياضيات والفلسفة في تلك المدينة هو أصبح طبيباً ومراراً وتكراراً أن تكون كاتباً لإتقان بلاده. بعد

^{١٣} محمد عبد الهادي أبو ريدة، تاريخ فيلسوف الإسلام، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، بمهرول السنة) ص. ٢٤٨.

الشهير، أصبح الطبيب الشخصي أبو يوسف يعقوب المنصور، الخليفة الثاني من حصل على مرتبة عالية، ويمكن أن يجمع الناس من يومه في المحكمة خليفة، بما في ذلك ابن رشد الذي دعا إلى إعادة النظر في كتب أرسطو.^{١٤}

۲. تألفات

ويحدثنا ابن طفيل عن تاريخ الفلسفة في وطنه فيشير إلى بداية اهتمام علمائه بالعلوم المختلفة وكيف أفضى بهم الحال إلى النظر في علوم الأوائل وخاصة العلوم الرياضية، ثم أتت طائفة اهتمت بالمنطق والنظر فيه ودراسته ولكنهم لم يبلغوا درجة الكمال في ذلك، لتأتي طائفة ثالثة أحذف من سبق نظراً وأقرب إلى الصواب وفي مقدمتهم الفلسوف أبوبكر بن الصائغ المعروف بابن باجه.^{١٥}

وقد يتساءل المرء عن العامل أو العوامل التي أضعفت الاشتغال بالفلسفة قرونا عديدة حتى ظهر نجومها البارزون أمثال ابن حزم وابن باجه وابن السيد وابن طفيل وغيرهم.^{١٦}

ومهما يكن فقد وضع ابن باجة الحجر الأساسي في بناء المدرسة الفلسفية الأسبانية، وسار على ابن طفيل. وحياة الأخير غامضة غموض حياة الأول، ومؤلفاته ليست أعظم حظاً من مؤلفات سابقه، فقد باد

(Jakarta: Bulan Bintang) hal. 161. Pengantar Filsafat Islam. MA.Ahmad hanafi

^{١٠} سعد بن عبد الله البشر، الحياة العلمية، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية) ص . ٤٣٨ .

١١ نفس المراجم السابق، ص ٤٣٨-٤٣٩

معظمها ولم يبق منها إلا شذرات متفرقة. بيد أن روایته الفلسفية المشهورة "حي بن يقطان" التي وصلت إلينا تشمل على مذهبه عاملاً في أسلوب جذاب وخیال بدیع، وتعد من أطرف ما خلف فلاسفة الإسلام، وقد ترجمت إلى عدة لغات، وكانت في غالب الظن نموذجاً نسج منواله روبنسون كروزو.^{١٧}

وسواء أكان هذا الفرض مقبولاً أم مرفوضاً لدى علماء الاجتماع المحدثين، فإنه يبين لنا أولاً كيف تأثر ابن طفيل بيفلسف الأندلس الأول ابن باجة، فإن "حي بن يقطان" يحمل في ثناياه كثيراً من خصائص "المتوحد" الذي أشرنا إليه من قبل. وثانياً في لغة "حي" الخيالية وصوره المجازية ما يعبر تعبيراً صادقاً عن نظريات الفارابي في السعادة والاتصال.^{١٨}

أما الرئيس ابن سينا المتوفى عام ٤٣٨هـ، فقد ألف قصة رمزية فلسفية بهذا العنوان، (حي) ويقصد به العقل الفعال، و(يقطان) يقصد به الله تعالى الذي صدر عنه هذا العقل الحي الدائم، وترمز إلى طلب الإنسان المعرفة مستعيناً بالعقل الفعال الذي يهديه بطريق المنطق والفلسفة، ويحذر من الحواس التي ترافقه، ومن التخييل الذي يلفق الزور، ويختلق الباطل.

وقد ترجمت إلى العبرية وشرحها ابن زيلا، تلميذ ابن سينا، ونشرت الترجمة مع الشرح في برلين عام ١٨٨٦م، وحاكها شعرا بالعبرية ابن

^{١٧} إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه الجزء ١ (دار المعارف بعك) ص. ٥٥

^{١٨} إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية منهاج وتطبيقه الجزء ١ (دار المعارف بعمر) ص. ٥٦.

عبرا. وبعد ابن سينا ألف الفيلسوف العربي ابن طفيل الأندلسي (٥٨١-)
٦٥٠) رسالة قصصية رمزية صوفية بهذا العنوان (حي بن يقطان) أيضا.
وقد ترجمت رسالة (حي بن يقطان) إلى العبرية، ثم إلى اللاتينية. ومنها إلى
الإنجليزية ثم إلى الفرنسية.^{١٩}

ولقد صادفت قصة هو في نفوس الفلاسفة الأوروبيين الذين كانوا في القرن الثامن عشر يعتقدون في قدرة الإنسان على الاهتداء إلى الفضائل التي تفضل الشرائع. كما راجت لدى الرومانطيكيين في القرن الناسع عشر لما رأوا فيها من تأييد لدعوهم في اهتداء الإنسان إلى ما يتجاوز الشريعة. وإن كان هذا تأويلاً لا يتفق مع جوهر القصة. ولكنه تأثير على كل حال.^{٢٠}

من شرح المذكور يمكن أن نخلص من ابن طفيل هو محمد أبو بكر بن عبد الملك بن محمد ابن طفيل القيسي، فيلسوف وفiziائى وقاضى أندلسى. ولد في وادى آش سنة ٥٠٦ هـ. علم موسوعى أندلسى وفليسوف اهتم بالطب والرياضيات والفلك والشعر، له قصة "حي بن يقطان" يحاول فيها التوفيق بين الفلسفة والدين.

ويحدثنا ابن طفيل عن تاريخ الفلسفة في وطنه فيشير إلى بداية اهتمام علمائه بالعلوم المختلفة وكيف أفضى بهم الحال إلى النظر في علوم الأوائل وخاصة العلوم الرياضية، ثم أتت طائفة اهتمت بالمنطق والنظر فيه

^{١٩} حسن حاد حسن، الأدب المقارن، (كتاب: جامعة الأزهر) ص ٨٩
^{٢٠} نفس المراجع السابق، ص ٩١

و دراسته ولكنهم لم يبلغوا درجة الكمال في ذلك، لتأتي طائفة ثلاثة أحذف
من سبق نظراً وأقرب إلى الصواب وفي مقدمتهم الفلسوف أبو بكر بن
الصاغ المعروف بابن باجعه، وتوفي في مراكش عاصمة الدولة في عام

۱۱۸۰

الفصل الثاني

لحة عن قصة حي ابن يقطان

طفل يعيش على جزير الهند تحت خط الاستواء من غير أم ولا أب، هو حي ابن يقطان، يعني أنه تولداً طبيعياً في هذه الجزيرة وهي أعدل بقاء الأرض هواء وأتمها لشروع النور الأعلى عليها. فتأثرت هذه الجزيرة وتحمرت الطينية الصالحة على مرر سنين، وأنا حياً تولد من خميرة من الطين تعادلت عناصرها وتكافأت ثم فيها من الروح الأعلى.

كانت الغزلان وأطعمته ورعت وأرضعت عليه. عندما نشاً كبيراً، كان لديه الرغبة القوية لمعرفة وتحقيق شيء ما لا يفهمه. وأدرك أنه بهذه الحيوانات الملابس الطبيعية ووسائل الدفاع عن نفسه مع أنه كان عارياً بدون الملابس ومعه سلاح. ولذلك، أنه يغضي نفسه بجلود الحيوانات التي ماتت واستخدم العصا كوسيلة الدفاع عن نفسه. بعد ذلك التدريج أنه يعرف مستلزمات الحياة الأخرى، ويعرف كيفية استخدام النار وفوائد الفراء وينسج وينئ وأخيراً كوخا للماوى.

الغزلان التي كانت تربيه وصارت كبيرة السن وإلى أن تموت، ورأيها فكرة الناس أرادت معرفة أسباب تغيرات كبيرة في تلك الغزلان. حتى أنه تشرح واحدة من هذه أجزاء جسم الحيوان، وكان بالتحقيق والتدقيق أنه لاحظ أجزاء جسمها. بعد أنه استنتاج أن القلب هو المركز لأعضاء جسمه.

ثمّ بعد ذلك، درس المعديّة و النباتات والحيوانات الموجودة في تلك الجزيرة. و درس مجموعة متنوعة من الأصوات و يحاكيها. ثم لاحظ أنه هناك ظواهر في الفضاء و اهتمّ في التنوعات الموجودة في هذه طبيعة لذلك حاول أن يجد المساواة في كل شيء.

و كان على يقين من أن وراء التنوعات طبعاً هناك وحدانية و قوة خفية ومقدسة. سُمِّي فيه "السبب الأول" أو "المبدع". لاحظ نفسه اكتساب المعرفة. وأخيراً وجد أن هناك عناصر أولى أو ماهيتها أولى وهي بناء و مادة و شكل و روح والخلود.

و ذلك بالنظر في تدفق المياه وعلى طول مصدرها إلى أن وصل إلى المصدر لل المياه التي تتدفق كثيرة وفيه مثل النهر، ثمّ كان اهتدى إلى القول بأن الرجل لديه أيضاً أن يكون لها المصدر المشترك.

و علاوة على ذلك حي بن يقطان يفكّر في السماء و حرّكة النجوم دوران القمر و تأثيره على الأرض. وأنه يحدد بعد ذلك خطّ آرائه، و يبتعد عن قتل الحيوانات، بعد أن كان مرتاحاً بتناول الفواكه النضجة، والنباتات وفي ظل هذه الظروف لا يأكل لحم الحيوانات إلاّ إذا اضطرّ.

من هنا انتقل من مجرد مراقبة للطبيعة إلى أن يكون في البحث عن الله، بدلاً من طلب العلم من خلال الحجج والاستنتاجات من منطق، أو بكلمات أخرى، المعرفة الموضوعية، وغرق بعد ذلك من التأملات الروحية وقال أنه يتطلع

في الكون كله هو انعكاس للآلة، وبعد ذلك أنه كان سعيداً القيام النشوة والخلوات للتفكير.

بالقرب من الجزيرة هناك جزيرة ويسكنها الرجل له اسم أبصل الذي كان يزوره في تلك الجزيرة. التقى معه وكان يعلم اللغة لحي.

عندما يقارن الرجلين أفكارهما وجد أن أحدهما تلميد للطبيعة والآخر هو

فيلوسوف ومتدين، من ذلك عرف أنهما وصلا إلى النتيجة السوية.

من هذه الطريقة أن ابن طفيل يكون قادراً على حل المشاكل الناجمة عن
الصراع بين الدين والفلسفة والعقل والإيمان. وكذلك حي يدرك أن الحقيقة
وجهين، وهو الداخليّة والخارجيّة.^{٢١}

abu bakar muhammad. Hayy bin Yaqdzan-manusia dalam asuhan Rusa,bin thufail."

ابن طفیل - حی بن یقظان